النبوة والالهام

عند فلاسفة الاسلام

للأستاذ عبد العزيز الكردانى

تقترن بفكرة النبوة فكرة الوحى — فما من نبى إلا وهو موحى إليه ، وما من نبى إلا وهو يستلهم الله أسرار الملكوت .

ولقد جاءت نصوص الكتب السماوية مؤيدة لذلك ومؤكدة له ؛ غير أن فلاسفة الإسلام لم يقنعوا بمجرد التسليم بالمنقول ، بل أرادوا — كدأبهم — أن يفسروا المنقول بالمعقول وأن يدللوا بمنطق العقل على منطق الوجدان ؛ فتمخضت عن ذلك نظرية النبوة ... ومن قبلها نظرية الألوهية ؛ نقول « من قبلها » لأن إبداع نظرية للنبوة ، يستوجب حتماً بحث فكرة الله باعث الأنبياء والرسل ، والكلام فى الموحى إليه يستلزم بالضرورة الكلام — بداءة — فى الموحى الذى أوحى !

ولقد نظر فلاسفة الإسلام فوجدوا أن « أرسطوطاليس » يتشر فى هذه السبيل تشرداً ملحوظاً . والظاهر أنه شغل بدراساته فى الأخلاق والنظم عن حل عقدة الخالق الأعظم موجد الوجود وبارىء الكون — فضلاً عن أنه تردد بين الوحدة والتعدد مرات ، فإنا نراه يصور « المحرك الأول » تصويراً يتنافى مع النظرة الدينية الإسلامية . حقاً لقد أجاد « أرسطو » تعليل الحركة ، فبين أن كل متحرك يتحرك بشىء آخر ، وأن الكائنات الحية المتحركة بذاتها فى الظاهر ، يختلف المحرك فيها عن المتحرك من حيث أنها مؤلفة من جملة وظائف تحرك الواحدة منها الأخرى ... إلا أنه عندما انتهى إلى فكرة « المحرك الأول » تخبط تخبطاً كبيراً ، فهو يقول عنه إنه « المحرك الساكن » أو المحرك إسماً لا فعلاً — يعنى بذلك أن الله — جل شأنه — لا يتدخل شئون الكون ولا يسيره بإرادته ، وكل صلة الكون به أنه يتجه إليه فى حركته ويستهدفه كغاية . !

. . ولقد قال « أرسطو » أيضاً بسرمدية المادة ... فكيف يتفق ذلك وما جاء بالقرآن من أن الله خالق المادة « فاطر السموات والأرض » ؟

... لذلك لم يتردد فلاسفة الإسلام فى القول بخلق المادة وإن سلموا مع « أرسطو » بقدمها ؛ وقد أدى بهم الاشتغال بهذا الموضوع إلى ابتداع نظرية تعرف بنظرية العقول العشرة . ومن

وقد شارك السفير فى الحياة السياسية فى بلاده ؛ فهو نائب قديم بالبرلمان ، وهو زعيم يشار إليه ، وقد أفلح بتوجيهه السليم فى أن يكون أبرز شخصية فى البرلمان الإيرانى ، وكثيراً ما كان لآرائه الأثر الصالح فى توجيه سياسة بلاده .

ولم تصرفه حياته الصحفية وجهاده السياسى عن العلم والأدب فقد أتم ثقافته الدينية بالإحاطة بالآداب الغربية فحذق اللغة الفرنسية وقرأ آثار الفرنسيين الأدبية ونقل إلى اللغة الإيرانية كثيراً من الكتب التى يراها متمشية مع رسالته فى الإصلاح الاجتماعى ، فترجم مثلا « سر تفوق الانجليز السكسونيين » و« سر تطور الأمم » وغيرهما .

وقد رأى جماعة من أصدقائه أن يجمعوا مقالاته التى دبجها فى الصحف فجمعوها باسم « سايه » — أى الظلال — وذلك أثناء إقامته الأخيرة فى باريس .

ومن كتبه « فتنة » ويحوى ثلاث قصص اجتماعية « فتنة » و « حوادث تلك الليلة » و « رسالة من سيدة » .

***

وقد رأت الحكومة الإيرانية أن تعهد إلى السيد على داشتى بالسفارة الإيرانية فى مصر ، فأوفدت رجلا من أعظم رجالها ، وهو خير خلف لخير سلف . وقد أدركت من أول حديث لى معه أنه شديد العناية بإحياء الصلات الثقافية بين مصر وإيران ، حريص على « إحياء ذلك العهد الذى طواه الزمن » ، عهد اتصال الفرس بالعرب اتصالا قريباً وثيقاً ، أيام كان العرب يعنون بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة ليفيدوا من هذا الأدب القديم النفى كل ما يمكن أن يفيدوه ، وأيام كان الفرس ينقلون عن العرب كل ما يمكن أن يحيى أمتهم وأن يرد إليها مجدها القديم » .

يحيى الخشاب
رئيس فرع اللغات الشرقية بكلية الآداب

خلال هذه النظرية تستشف تصوراً فلسفياً لفكرة الوحي والإلهام تنجلي به الصلة بين الله وأصفيائه من عباده .

ومجمل نظرية العقول العشرة أن الله بفيضه قد صدر عنه العقل الأول ، وعن الأول صدر الثاني ، وعن الثاني الثالث . إلى أن تصل إلى العقل العاشر أو العقل الفعال ، وهو أدنى هذه العقول جميعاً وأقربها إلى عالمنا الأرضي . عن هذا العقل الفعال صدرت المادة فهي قديمة وهي حادثة في آن ، ومن هذا العقل الفعال يستمد الأنبياء والهداة رسالاتهم ، لأن الله « يفيض » عليهم عن طريق هذا العقل الفعال .

... هذا هو التصوير الفلسفي لفكرة الوحي عند فلاسفة الإسلام ، ويبقى الآن أن نستعرض الحجة الإقناعية التي ساقها أولئك الفلاسفة للتدليل على صحة ذلك التصوير . والواقع أن المستعرض لبراهينهم في هذا المجال ، لا يشق عليه أن يلاحظ عن أسلوبهم في البحث ... اقترابه — في طرائقه التدليلية — من أسلوب علماء النفس المحدثين ، عندما يعالجون تعليل الظواهر الجديرة بالتأمل والملاحظة ؛ فهم — أعني فلاسفة الإسلام — يقررون أنه باطراد التجربة وتواتر الرواية يمكننا أن نطمئن إلى صحة الزعم بأن هنالك طائفة من الأشخاص تتكشف لهم أستار الغيب حال نومهم ، فيحلمون أحلاماً هي في جوهرها سوراً رمزية لحقائق ما تزال في ضمير الغيب مخبوءة ... بل لقد يحصل أن تتجاوز هذه الرؤى لغة الرمز والتلويح ، إلى الإفصاح والتصريح ، فيشاهد الحالم الوقائع ويستمع إلى المحاورات والكلمات ، كما لو كان يشاهد رواية الغيب تمثل على مسرح القدر ! ثم هم لا يكتفون بالوقوف في استقرائهم لهذه الظاهرة الفذة عند هذا الحد ، بل تراهم يجهرون بأن هذه القدرة على الاستيحاء ... ربما واتت أشخاصاً حال يقظتهم ، متى كان هؤلاء الأشخاص قد بلغوا — من صفاء الروح ونقاوة الضمير ورهافة الوجدان حظاً عظيماً . ولعل الأنبياء والرسل في الطليعة من أولئك الأشخاص .

يتبين من هذا جميعه أن نظرية الوحي والإلهام نظرية تعتمد على المشاهدة والاستقراء ، وظاهرة يؤكدها — عند فلاسفة الإسلام — اطراد التجربة وتواتر الرواية ؛ فإذا من لنا بعد هذا الاستعراض السريع للنظرية ، أن نقارن في أذهاننا بين ما يقول به فلاسفة الإسلام في هذا الخصوص ، وما يقول به علماء النفس المحدثين في نظريتهم عن العقل الباطن — فإنه قد يخيل إلينا حيال هذه المقارنة أننا أمام رأيين يعارض الواحد منهما الآخر ، فينبغي ترجيح واحد منهما على الآخر عند الانتخاب .

... غير أننا — في الواقع — لن نرى ما يسوغ عقد هذه المقارنة ... إذا ما انتهينا إلى أنه قد ثبت بالبحث العلمي أخيراً أن كلا من الرأيين ينطوي على جانب من الصواب ، ويسهم — بنصيب — في تجلية حقيقة الأحلام وتفسير حقيقة الوحي والإلهام ، ذلك أن هناك اتجاهاً يميل إلى الحد من تعميم تطبيق نظرية العقل الباطن على جميع الحالات الفردية على زعم أنه قد ثبت أخيراً بالتجربة والمشاهدة قصور النظرية بمفردها عن تفسير بعض هذه الحالات . ومن الوجه القابل ، نلحظ أن ظاهرة استكناه المجهولات والغيبيات عن طريق الأحلام أو في أحوال الغيبوبة الروحية أو أحوال اليقظة الوجدانية — صارت — في هذه السنوات الأخيرة — موضع رعاية وعمل الثقات من طائفة من العلماء الروحانيين والنفسانيين بعد أن كان الرأي عند جمهرة العلماء أنها من قبيل الضلالات والأوهام .

عبد العزيز الكرداني

مجلس مديرية المنيا

يقبل عطاءات عن توريد أغذية لمؤسسي البنين والبنات بالمنيا لمدة سنة من أول مارس سنة ١٩٤٩ حتى الساعة العاشرة أفرنكي من صباح يوم الأربعاء ٢٦ يناير سنة ١٩٤٩ وتطلب القوائم والشروط من إدارة المجلس على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير دفع مبلغ ٢٠٠ مليم ثمناً لكل قائمة . ١٠٠٩